

قراءة سيميائية في عنوان كتاب النورين للحصري القيرواني

بوده العيد

باحث دكتورالي، جامعة قاصدي مرياح، ورقلة

elaid88@gmail.com

ملخص :

تتناول هذه الورقة النقدية بعض جوانب النظام السيميائي في منظومة العنوان النقدي القديم، من خلال كتاب النورين للحصري القيرواني، باعتبار العنوان مجموعة من الإشارات والإحالات والدلالات، التي تمنح النصوص ارتباطا وثيقا بالعالم والمرجع الثقافي الذي تصدر عنه. كما يتقصى الباحث مدى تعالق العنوان بمئن المدونة من جهة، ومسألة العنوان بوصفه نقطة وصل قرائية جمعت بين أجزاء المدونة، وبين المتلقي الذي تمثله الناقد القديم من جهة أخرى؛ لأن المتلقي يشكل عنصرا مهما منظومة الإبداعية و التواصلية.

الكلمات المفتاحية :

كتاب النورين، قراءة سيميائية، النقد القديم، المتلقي، العنوان، الحصري القيرواني.

Résumé

Ce document de recherche traite Quelques informations sur le système sémiotique, Dans l'ancien système de titres monétaires, Ce qui est lié à l'espace culturel d'où est sorti le titre monétaire, Le chercheur traite la relation entre le titre et le destinataire. Et le titre du livre des Norin pour le modèle el housri elKairouani de l'étude .

Mots-clés:

Le Livre de Al Norin, Lire la sémiotique, Critique ancienne, Destinataire, El housri elKairouani.

مقدمة

تقوم هذه القراءة المتواضعة على محاورة وصفية نقدية لعنصر مهم في مضمار العملية الإبداعية، ويتعلق الأمر بالعنوان الذي يحتل موقعا أيقونيا يجعله محل اهتمام من لدن المؤلف والقارئ كليهما ، وقد سعينا من خلال هذه القراءة إلى استكناه التقاطع الموجود بين المؤشرات الدلالية لعنوان هذا الكتاب والعوالم التي شكلت متنه، في محاولة مني للوقوف على مدى تعالق العنوان بنصوص المدونة ؛ لأن العنوان "مرتبط ارتباطا عضويا بالنص الذي يعنونه؛ فيكمله ولا يختلف معه، ويعكسه بأمانة ودقة .. فهو ما وُضِع على رأس النص إلا ليُعرِّفه وينوب عنه، فكأنما هو نص صغير يتعامل مع نص كبير." (1)

كما كان هدي من هذه القراءة ، هو معرفة ما إذا كان العنوان نقطة وصل قرائية جمعت بين أجزاء المدونة ، وبين المتلقي الذي تمثله الناقد القديم ؛ "لأن المتلقي يشكل أهم العناصر في العملية التواصلية، وخاصة الأعمال الأدبية وعلى إثر حكمه على النص تكون درجة القبول من عدمه ، فإن أول ما يقابله في المنجز الأدبي عموما هو العنوان، والعنوان بوصفه "ظاهرة تواصلية تداولية" مقدم أساسا للمتلقي، ومُحْمَل بوظائف متنوعة تعمل متحدة على جذب المتلقي

ومما دفعني أيضا إلى محاورة هذا العنوان ، هو محاولتي الإجابة عن تلك التساؤلات التي فرضت نفسها في سياق هذه القراءة ومفادها :

- ما علاقة النور بالطرف والظرف ؟ أو بعبارة أخرى أين يتضح التشاكل الذي خلق ثنائية بين المفردتين وأتاح لهما تشكيل هذا العنوان؟ ولماذا تقدمت عبارة الطرف عن الظرف ؟
- ماهي دلالات السجع الحاضر في عنوان هذا الكتاب الذي لم يخرج عن شاكلة كتب الحصري المسجوعة ؟
- ما علاقة عنوان المدونة بما جاء فيها من مقاييس نقدية؟ وهل عكس العنوان الحمولة النقدية الموجودة في الكتاب؟ وهل هناك حقيقة نقدية أراد أن يقولها ؟
- فيما تبرز انعكاسات البيئة الثقافية على النسق العام لهذا العنوان؟

العرض :

إنّ عناية الدراسات السيميائية المعاصرة بالعنوان ، وما يتعلق بعتبات الخطاب النصي لم يكن من قبيل الصدفة أو الترف الفكري ، بل يعود ذلك إلى إدراك البرنامج السيميائي لأهمية هذه العتبات ، التي تبين أنّها من المفاتيح السحرية المهمة في اقتحام أغوار النص وفتح مغاليقه ومجاهيله. وبخاصة العنوان باعتباره العتبة الرئيسة التي تفرض على الدارس أن يتفحصها ويستنتقها قبل الولوج إلى أعماق النص (3)، ولكون العنوان ضرورة كتابية (4)،

وكذا لكونه أولى عتبات النص التي لا يجوز تخطيها ولا تجاهلها .. فلاشيء كالعنوان يمدنا بزيادة ثمين لتفكيك النص ودراسته.(5)

ولعل العنوان يُعد من أولى العتبات النصية المفضية إلى عالم الحقيقة النصية ؛ بفعل حملته الدلالية التي بإمكانها أن تحتوي النص، ويفضل مخزونه العلاماتي الذي يمكنه الإحالة إلى ما يقوله النص ، بالإضافة إلى موقعه اللافت للاهتمام الذي يسترعي انتباه القارئ، ناهيك عما يمارسه من إغراء على ذهنه.

والعنوان هو الأداة التي تخلق العلاقة بين المتلقي والنص، بإثارة اهتمامه والمساهمة في بداية تشكل وعيه بمكونات النص. وعليه يمكن القول أن العنوان رسالة، وهذه الرسالة يتبادلها المرسل والمرسل إليه، وهما يساهمان في التواصل المعرفي والجمالي، وهذه الرسالة مسننة بشفرة لغوية يفككها المستقبل حسب فهمه لها.(6)

وكما جرت العادة أن تقوم العناوين باستفزاز القارئ قبل أن يستفزها، فإنني أعترف باستفزاز عنوان هذا الكتاب الذي نعينه بالدراسة - نور الطرف ونور الظرف - لذاتي القارئة ، فراودتني الرغبة لاكتشاف العلامات المحيطة بنصه الصغير(العنوان).

التعريف بالمدونة :

نشير في البداية إلى أن الكتاب تم تحقيقه في إطار عمل أكاديمي، تقدمت به السيدة لينة عبد القدوس أبو صالح كرسالة جامعية، للحصول على درجة الماجستير في اللغة والأدب العربي بجامعة الملك سعود، بإشراف من الدكتور محمد الريداوي، وذلك في العام 1409هـ/1989م. وقد دفعها إلى اختيار الكتاب رغبتها في المساهمة في إحياء التراث العربي القديم، وبخاصة التراث المغربي؛ لقلة ما حُقِّق منه لاسيما إن كتاب النورين لم يُنشر قبل ذلك، وهو من أشهر مؤلفات الحصري بعد زهر الآداب.

وقد جاء الكتاب مطبوعا في 455 صفحة، مقسما إلى قسمين حسبما اقتضته طبيعة البحث ؛ حيث شغل القسم الأول الذي تضمن دراسة الكتاب 91 صفحة، وشغل تحقيق الكتاب الصفحات من " 39 إلى 395"، وشغلت الفهارس وهي ثمانية (الآيات، الأحاديث، الأمثال، الأشعار، الأماكن، الأعلام، المصادر والمراجع) الصفحات من "396 إلى 455".

وقد بلغ عدد المراجع والمصادر التي اعتمدها السيدة أبو صالح مائة وخمسين مصدرا ومرجعا، بالإضافة إلى دورية واحدة، مرتبة ترتيبا هجائيا حسب اسم الكتاب، وتنوعت هذه الكتب بين المصادر التراثية والدواوين الشعرية والدراسات الحديثة .

وفي هذا الصدد نقول بأن المؤلف (الحصري)، أجز الكتاب نزولا عند رغبة قارئ معين لم يصرح لنا بهويته، حيث يقول في مقدمة الكتاب: "فأجبتك إلى ما إليه أشرت على ما أحببت وآثرت من غرائب العجائب وظرائف اللطائف وجواهر النوادر." (7)

الظاهرة العنوانية عند العرب القدامى :

وبما أننا نشتغل على عنوان مدونة تعود إلى العصور القديمة للأدب العربي ، فقد بدا لنا الأمر مقبولا أن نقدم ومضة تعريفية بظاهرة العنوان لدى العرب القدامى ؛ حتى نقرب أكثر من محيط التصور النقدي للعنوان آنذاك، مما قد يدعم هذه القراءة السيميائية لعنوان مدونتنا المدروسة.

وقد توصلنا إلى أن القارئ للنقد العربي القديم ، يدرك عدم تناول هذا الأخير للعنوان كظاهرة نقدية، ذلك أن العنوان لم يعرف تأسيسا ولا تناولا إلا بعد تدوين القرآن الكريم الذي مثل " نقطة تحول بارزة في العديد من الجوانب العلمية، كان من بينها أنه سبب مهم في تطور العنوان العربي وطبعه بطوابع إسلامية خاصة." (8) مما أتاح للعنوان في القرآن الكريم تسمية السور والأجزاء، أما بالنسبة للعناوين في كلام العرب فيقول عبد الله محمد الغدامي : "وقد مضى العرف الشعري عندنا لخمسة عشر قرنا أو يزيد، دون أن تقلد القصائد عناوين" (9)، ويقول آخر: "لا سجل القدماء في مدوناتهم عناوين للقصائد التي دونوها، سواء كانت لهم أم لغيرهم." (10)

ومن الأسباب المحتمل وقوعها حائلا لحصول العنوان في القصيدة العربية نجد: اعتماد الشعر العربي على المشافهة والإنشاد (11)، وقد يكون السبب الآتي مانعا آخر لحضور العنوان ويتضح ذلك في: تعدد الموضوعات الشعرية في القصيدة الواحدة، وتعدد الموضوعات يؤدي إلى صعوبة اختيار عنوان واحد للقصيدة. (12) وقد يضاف سبب آخر لغياب العنوان في الشعر العربي، ألا وهو ارتباط حياة العربي بالبيئة، فطبيعة الحياة العربية التي كانت بدوية في معظمها تتسم بنوع من التحرر والانطلاق، وتأتي القيود والانحسار. وعنوان القصيدة قيد لها ووثاق لا يستطيع الشاعر أن يجيد عنه (13)، والشعر في أصله تحرر للغة والإنسان وانعتاق من كل قيد. (14)

ويمكن إسقاط ما كان حاصلًا في أمر العنوان الشعرية على النثر أيضا، فاعتماد الخطب العربية على نظام المشافهة دون التدوين كفلها مؤونة الحاجة إلى عناوين تسمها، سيما وأنها كانت في معظم الحالات مرتجلة تأتي على السليقة. (15) إلا أننا نجد عناوين لبعض الخطب العربية كان أساسها فقدان هذه الخطب لبعض الركائز

الخطابية مثل: خطبة طارق بن زياد التي عرفت بالبراء، لخلو صدرها من عبارات الحمد. وبالمثل أطلقوا على الخطبة التي لا تذكر فيها الشهادة "جذماء"، والتي لا تُزَيَّن بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم "شوهاء". (16) وقد نبّه أحد الباحثين إلى نقطة مهمة؛ مفادها أن العنوان كان حكراً مع بداية عصر التدوين على الكتابة النقدية، وتنوعت العناوين وإن كانت في أغلبها تشير إلى المؤلف الجامع قبل المبدع، كما تحقق في كتابي المفضليات والأصمعيات (17). وبالإضافة إلى هذه المؤلفات عرف العنوان طريقه إلى مصنفات أخرى كالمعجم "كتاب العين" للخليل، وكتب النقد "طبقات فحول الشعراء" لابن سلام الجمحي، وعلوم اللغة "الكتاب" لسيبويه (18)، وهنا نشير إلى إدراك القدماء لضرورة إجادة العنوان، فاهتموا بإخراجه في صورة تغري بانتقائه وتسهم في رواجه (19)، على اعتبار أنه اللوحة الإشهارية المروجة للمدونة.

التحليل السيميائي لعنوان النورين :

سنبدأ التحليل بمحاولة الإحاطة بالتسمية المختصرة للكتاب وهي : "النورين" (النورين)، وهي تسمية على طريقة العرب في التغليب، فقد قالوا القمران للشمس والقمر، والعمران لأبي بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، والأسودان للتمر والحليب، والأبيضان للسكر والملح، والأصغران للقلب واللسان، والجديدان لليل والنهار، و هلم جرا من هذه التسميات.

أما الصيغة الحقيقية لعنوان الكتاب فهي : " نور الطرف ونور الظرف"

ونجدها واردة في قول الحصري: "وفيما ألقى إليك في هذا الكتاب، الذي هو نور الطرف ونور الظرف، المختار الكثير مما ليس في الكتاب الكبير". (20)

والقارئ لهذا العنوان سيلاحظ بأن هذا الخطاب الصغير جاء في قالب سجعى بديع على عادة عناوين كتب الحصري الأخرى، ككتاب "زهر الآداب وثمر الألباب" وكتاب "جمع الجواهر في الملح والنوادر" وكتاب "المصون في سر الهوى المكنون"، وينسحب الكلام على بعض المؤلفات الأخرى لغيره من النقاد الذين عاصروه ككتابي: "أمودج الزمان في شعراء القيروان" وكتاب "قراضة الذهب في نقد أشعار العرب" لابن رشيق القيرواني، وليس هذا الأمر غريباً على رجل قال عنه تلميذه ابن رشيق: "كان شاعراً ناقداً عالماً بتنزيل الكلام وتفصيل النظام، يجب المجانسة". (21)

عنوان الكتاب مركب؛ بحيث يتكون من مركبين اسميين، وهما تركيبان إضافيان، وقد تكررت فيه كلمة النور مرتين، مرتبطة بمفردتين أخريين متمثلتان في البنية التركيبية، مختلفتان من حيث المعنى وذلك ما أدخلهما في باب الجنس الناقص؛ (الطرف، الظرف).

فعلی صغر حجم هذا النص إلا أنه استطاع أن يستقبل شكلين مختلفين من أشكال البديع (السجع والجناس)، مما أحدث تناغماً بين الكلمات ، إذ ينشأ التناغم عن تكرار بناءات متماثلة أو تكرار جذور متماثلة(22)، وتلكم مهارة نادرة لا يبلغها إلا من أوتى براعة في ترويض الحروف ؛ بحيث يمكنه أن يخلق تزاوجاً فنياً بين شيئين مختلفين في جملة قصيرة ؛ لأن المعنى في ستر خبيء يخرج به اللفظ البديع مزهوا يسرق لب العقول ويفتن، فالأسجاع والتشابه والجناسات مظهر من مظاهر الافتتان بالقول وحمية الروح.(23)

ويقودنا هذا العنوان (نور الطرف ونور الظرف) للأخذ بقول الذي يرى أن: "أبرز ما توجهنا إليه فكرة البديع هي ظاهرة الثنائيات التماثلية ؛ فكل زوج يحتاج إلى زوج آخر يكمل بنيته ، فليست هذه الثنائيات التي أوجدتها ظاهرة التكرار المقطعي على سبيل (التشاكل،التقابل،التباين النصي) والتي أجلت جماليات النصوص القديمة وجددتها، مجرد ثنائيات منغلقة في بيئتها؛ إنما فتحة لغوية، واستجلاء حسن مظهر في النص كنوع من الكهانة اللغوية، أو اللغة السحرية الخاصة التي تحتاج إلى لفتات ذكاء، وزاد من الإدراك والوعي؛ لفهم هذه اللغة السحرية، فهي تُخرج من السلاسة كثافة، ومن البيان خفاء، ومن التصريح إشارات، ومن الوضوح غموضاً."(24)

ومن ثمة يمكننا أن نقدم الانطباع الذي يجعلنا نقول إن لغة الحصري من خلال عناوين كتبه هي لغة ذات نموذج شاعري؛ تشعرك بلذة الانزياح الذي يكتنفها، خاصة وأن هذه اللغة جعلت من البديع منهلاً و متكأً، والبديع شكل من أشكال انحراف اللغة وانصرافها إلى جنان من الحسن.

فالنور وكما جاء في لسان العرب : "الظاهر الذي به كل ظهور ... والظاهر في نفسه المظهر لغيره."(25)؛ وهذا ما نجده متجسداً في الشمس والقمر والنجوم و الأشرطة أو المصابيح والشموع والنار والبرق فقط، وأما أن يكون ما عداهما منيراً فذلك كلام لا يمكن أن يقوله إلا الشعراء.أما ما جاء في لسان العرب عن الطرف أنه: "اسم يُجمع الطرفاء وقلما يُستعمل في الكلام إلا في الشعر."(26) وهذا ما يجعلنا نطمئن للقول بأن شاعرية الاسم - إن جاز لنا التعبير بذلك - من وراء توظيف الحصري له ، وذلك مما قد يدفعنا للثقة أكثر في ما توقعناه حول تفضيل مؤلف النورين للقريض ، كما نجد أن كلمة "الظرف" متعاقبة مع الشعر من جانب الحسن والبراعة(27)، وهذا ما يقوله لسان العرب: "ويجوز في الشعر ظرافة" (28). كما تحمل هذه الكلمة معنى: الحدق بالشئ، وهذا ما يعكس لنا احترافية الحصري في انتقاء مفردات العنوان التي تحيل على شخصيته من جهة ، وتحيل على طبيعة المدونة من جهة ثانية ؛ فإذا كان الظرف يعني الحدق بالشئ ، فذلك أن الحصري -على المستوى الشخصي- قدير بعميلة إنجاز العمل المطلوب منه ، بدليل أنه استطاع أن ينجز قبل ذلك كتاباً(الزهر) ، وقام بمثل ذلك في الكتاب الثاني (النورين) ، واعتُبر الأول(كتاب الزهر) من أمهات كتب الأدب ، ولربما ذلك ما دفع بأحد

كبراء عصره أن يطلب منه تصنيف كتاب يوازيه ظرفاً أو يتفوق عليه ، وفي هذا الصدد يقول الحصري: "وقلت أجعله كالمختصر من الكتاب الموسوم بزهر الآداب وثمر الألباب، الذي ضمنته كل لطيفة ونظمته بكل طريفة فجاء بديع الغرر رفيع الدرر صحيح الحوك مليح الحبك." (29)

ومن جهة أخرى - على مستوى المدونة - نجد أن مؤلف النورين في مستوى كلمة

"الطرف" التي تعني البراعة وذكاء القلب؛ لأنه عمد بشكل مهاري إلى توشيح كتابه بالمستندر المختار من كلام ملوك النظم والنثر؛ لاسيما وإن الاختيار كما يقول الحصري: "ميسم العقل ومعلم الفضل". (30) وهذا ما يجعله يحاول جهده ويبدل ما عنده ، حتى يقدم لصاحب الطلب شيئاً جميلاً ، مما لم يتكرر فيتكدر ويتوالى على الأسماع فتمجحه الطباع، وتكثر روايته فتمل حكايته. لعلمه بإغراق صاحب الطلب في العلم والفهم والإطلاع على مثل ما جاء به الكتاب، فلعل الرجل سيجد في النورين شيء يستندره (31).

ومن ثمة فإن العنوان (نور الطرف ونور الطرف) خارج عن المؤلف في واقع القارئ ، ومتجاوز لأفق توقعاته، لكنه رغم ذلك يشارك في استدراج المتلقي وفي تحقيق اهتمامه به ، وربما إثارة الإعجاب به أيضاً ، لأنه - العنوان - يستعين "بظاهرة الانزياح" وهي ظاهرة أسلوبية جمالية اهتم بها النقاد باعتبارها قضية أساسية في تشكيل جماليات النصوص الأدبية (32). ويعني الخروج عن الاستعمال العادي المؤلف للغة بحيث تصبح اللغة في مداره أقرب إلى الشعر منها إلى النثر، بل لا يوجد شعر - حسب كوهين - يخلو من الانزياح (33)؛ لأن الشعر في حد ذاته هو انحراف عن اللغة النثرية المؤلف، وأغلب النقاد يميلون للرأي القائل بانطواء العنوان على قدر من الشعرية التي تضيف إلى معانيه الذاتية معاني ودلالات النص الذي يسمه (34).

وعطفاً على ما أوردناه حول حب الحصري للمجانسة التي تحققت في أولى عتبات هذه المدونة، فإننا نواصل إيراد ما قاله التلميذ ابن رشيق في أستاذه الذي: "يرغب في الاستعارة تشبهاً بأي تمام وتتبعاً لآثاره" (35)، وهذا للتأكيد على تحقق هذه الخاصية الفنية التي اعتمدها الحصري حتى في عملية العنونة، وذلك أن الصورة البيانية التي جاءت بها كلمتي العنوان الأوليين هي استعارة مكنية ؛ حيث قرن الحصري بين شيء مجرد (الطرف)، وشيء ظاهر في نفسه ومُظْهر لغيره (النور) في صورة بديعة.

فكما أن النور يصرف الظلام، فإن الطرف يصرف الكدر والملل، فمن معاني الكلمة: "يقال طَرُفْتُ فلاناً أطرُفُهُ إذ صرفته عن شيء." (37)

وعادة ما تستطرف النفوس جديد الأشياء ، وذلك ما يجعلها تنصرف إليها من القديم الجوهري يقول: "يطرف بصرك عنه؛ أي تستطرف الجديد وتنسى القديم." (38)، وهذا ما يمكن أن نجعله معادلاً موضوعياً لتلك

النظرة النقدية الإيجابية للحصري إزاء المحدثين من الشعراء، حتى إننا نجد يبالغ في الاحتفاء بهم من خلال هذا الكتاب فيقول: "ووشحتها بالمستندر المختار من كلام ملوك النظم والنثر من أفراد أهل العصر الذين قهروا السابقين، وبهروا اللاحقين بكرم عنصر البلاغة وصميم البراعة". (39)، "ويقال أطرف الرجل: أعطاه ما لم يعطه أحد قبله، وأطرفت فلانا شيئاً أي أعطيته شيئاً لم يملك مثله فأعجبه". (40)، وهذا الكلام منسحب على كتاب النورين الذي جاء بجديد ليس في كتاب الزهر حيث يقول الحصري: "وفيما ألقى إليك في هذا الكتاب الذي هو نور الطرف ونور الظرف، المختار الكثير مما ليس في الكتاب الكبير". (41)

ونضيف في هذا السياق معنى آخر لكلمة الطرف التي كدنا نقول بأنها مدار المدونة، ومحور العنوان لأنها تحتزن جل المعطيات المتعلقة بالنورين، فهي كلمة متعاقبة مع النور كما رأينا من حيث تحقيق الفائدة واللذة، حتى إننا وجدنا في لسان العرب ما يلي:

"الطرف من منازل القمر كوكبان يقدُمان الجبهة وهما عينا الأسد يُنزُهُما القمر" (42)

كما وجدنا في معنى الكلمة (الطرف) ما يحيل حتى على منهج الكتاب؛ حيث جاء في لسان العرب: "ورجل طرف ومستطرف لا يثبت على أمر". (43)، وكذلك وجدنا كتاب النورين الذي لم يمش على نهج معين أو أسلوب مدروس، وإنما هو مجموعة نصوص وأخبار جمعها الحصري في أزمان متباعدة ثم أُلّف بينها دون ترتيب معين ولا تثبيت على منهج ما. وهي طريقة مقصودة حتى يدفع الملل على قارئه وهذا ما يؤكد المؤلف في قوله: "فنشرت ما سطرت على غير تبويب، وجمعت ما صنفت على غير ترتيب، وذلك أقرب إلى نشاطك وأوجب لانبساطك". (44)

ونحن نعلم بأن لكل جديد لذة، وأن الحصري ضمينا من أنصار المحدثين، ولربما يكون قد فضل تقديم كلمة الطرف على الظرف بالنظر إلى معنى الكلمة الأولى التي سبق وعرفنا أنها تفيد الشيء الذي لم يسبق وأن عُرف أو امْتُلك، وهذا ما يجعله يرغب في تقديم الشيء الجديد غير المعروف عن الآخر المعروف نظرا لتقدمه، فمن المنطق هنا أن تتقدم الطرفة على الظرف، حتى إننا في الترتيب الأبجدي لحروف اللغة نجد تقدم حرف الطاء على الظاء، وقد يكون ذلك سببا لدى الحصري في ترتيبه لكلمات العنوان بهذا الشكل.

ثم على صعيد آخر نتجه بقراءتنا إزاء المواطن التكاملية بين كلمتي "الطرف والظرف" من جهة وبين الكلمتين والنور من جهة ثانية، بحيث نجد أن كليهما يدفع الملل والكدر عن النفس؛ فالاستطراف يصرف ذلك بندرة وغرابة أشياءه، والظرف بروعة معانيه وكلماته. مادام من معاني الاستطراف حسن العبارة، ونحن نعلم ما للعبارة الحسنة من أثر طيب على القلب. كما أن لكليهما طابع شعري أسهم في تشكيل شعرية العنوان ومنحه

رونقا وجاذبية، و الأمر كذلك مع كلمة "النور" الذي يدفع الظلام ويجعل النفس تهتدي مطمئنة إلى ما حولها، مثلما يهدي الطرف والظرف إلى خبرات جديدة تفيد المطلع عليها.

وكما أن الطرف والظرف مرتبطان بقيم اللذة والجمال، نجد أن النور كذلك؛ حيث جعل الله النور ميزة من ميزات أصحاب الجنة ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (12) سورة الحديد، وقد اعتادت العرب أيضا أن تشبه كل جميل بالبدر المنير أو بالشمس المضيئة.

ومادام القصد من هذه القراءة أيضا هو معرفة ما إذا كان العنوان نقطة وصل قرائية جمعت بين أجزاء المدونة وبين المتلقي الذي تمثله الحصري، كان يجب أن نتساءل أولا: هل كان الحصري على دراية بمستوى قارئ الكتاب؟

وقبل أن نجيب على هذا السؤال لابد من توضيح بواعث هذا التساؤل الذي انبثق من محيط العملية التواصلية، أني يحظى المتلقي بفاعلية كبيرة، بدعوى أن ما أنتجه المبدع (المرسل) هو رهن قابلية المتلقي (المرسل إليه)؛ لأن أي استقبال من القارئ (المتلقي) لعمل ما يشتمل على اختبار لقيمتها الجمالية، مقارنا بالأعمال التي قرئت من قبل (45). وبات من الأحسن تركيز الانتباه على العلاقة بين القارئ والنص (46)، لما للقارئ من دور حاسم في بعث الحياة في النصوص المنجزة، إذ لولا القارئ لما كان لهذه النصوص وجود أصلا. (47)

أما الإجابة عن السؤال فنسجلها فيما مؤداه: نعم. يدرك الحصري طبيعة متلقي الكتاب. والشاهد على ذلك قول المؤلف: "ومع علمي أنك اغرق في الفهم نصولاً وأغرق في العلم أصولاً، فلعله يمر بك في تضاعيف هذا التأليف شيء تستنדרه مما تؤثره." (48)

لكن بالرغم من معرفته بالقدرات العلمية للرجل إلا أنه غير عارف بنوعية ما يتوفر لديه من شاكلة مادة كتاب النورين، وذلك ما يجعله يجهد عقله في الانتقاء حيث يقول: "ولو كنت اعلم غيب ما لديك لما أوردت شيئا مما وقع إليك من حديث ولا قديم في نثر ولا نظم، ولكنني أجهد جهدي وأبذل ما عندي." (49)

مما سبق تبين لنا أن الحصري يتوقع من قارئه الظفر بمادة تحوز على إعجاب واستلطافه، ومن ثم قدم له طبيعة المادة المشكلة للنورين، في خطاب مختصر يعكس مدى استجابة الحصري ونزوله عند رغبة الرجل الذي طالبه بهذا النوع من المواد الأدبية (الظرفية، الظرفية)، وذلك ما جعل العنوان بالفعل ترجمانا حقيقيا لعوالم النورين، ومن ثم فإننا نرحب بالفكرة التي ترى أن العنوان للقارئ هو الأصل، والنص فرع أو قل فروع دلالية للجملية المركزة المشحونة (العنوان) (50)؛ لأن الدلالات التي تكون النص تشكل امتدادا لتمطيط فكرة العنوان ومفرداته. (51)

ومن هنا فإننا نقول إن العنوان المتناول استطاع أن يرسم لنا لوحة تعريفية بموضوعات الكتاب ، الذي أمتعتنا جماليات طرفائه و ظرفائه المستقاة من ينابيع الحكمة وباقات الأمثال العربية ، وحدائق الفنون الأدبية بشكل شامل، على اختلاف جغرافيا مبدعيها وتفاوتهم التاريخي، ولاجرم من القول أن العنوان كان رسالة لغوية عرّفت بهوية النص، وأداة حددت مضمونه وجذبتنا إليه كقارئين (52). وهذا ما يكسب العنوان قيمته في نظر بشري البستاني التي ترى بأنه "رسالة لغوية تعرف بتلك الهوية وتحدد مضمونها، وتجذب القارئ إليها وتغريه بقراءتها، وهو الظاهر الذي يدل على باطن النص ومحتواه." (53)

وعليه نقول أن عنوان الكتاب استطاع أن يستقبل محور المدونة بصفة تدعوني للإعجاب به كقارئ، ومن ثمة فإننا نردد ما قاله احد الباحثين: "إن العنوان يتوسط حلقة الاتصال بين المتلقي والنص، مما ينتج جسرا مفروضا على المتلقي لا يمكن له أن يمر إلى النص إلا من خلاله." (54)، وإذا ما اتخذ القارئ العنوان وسيلة لولوج النص فإنه يصير مزودا بأحد أهم مفاتيح الشيفرة الرمزية (55).

أما ما يتعلق بالإجابة عن الإشكالية التي طرحت موضوع علاقة العنوان بما جاء في المدونة من مقاييس نقدية فنقول باختصار إن: كتاب النورين لم يكن منجزا نقديا في أصله، بل مدونة للمختارات الأدبية ، ومن ثمة فإننا لم نطالع ممارسة نقدية واضحة المعالم ، بل وجدنا آراء تكاد تكون ضمنية في معظمها، وهي متوزعة في تضاعيف النورين الذي لم يعن مؤلفه بالمناقشة والتعليق على ما جاء فيه إلا قليلا، ومن ثمة فإننا نتحدث عن وجود فجوة واضحة بين العنوان وبين ما وجدناه من إشارات نقدية. وهذا بالمقارنة بين هذا العنوان وعنوان الزهر ؛ الذي يحيل على وجود بصمة للعقل النقدي في الكتاب، من خلال عبارة " ثمر الألباب " .

لكن هذا لا يمنعنا من القول بأن العنوان يحيل على موقف نقدي إيجابي؛ نستنتجه من خلال تأملنا في كلمة "الطرف" التي جاء عنها في أساس البلاغة أن: "الطرف للمستحدث المعجب." (56)، فقد وجدنا الحصري معتنيا في اختيار النصوص بأشعار المحدثين، مبتعدا عن الأدب القديم؛ لسيرورته بين الناس، وقد التفت إلى الغريب والجديد بخاصة في معاني المحدثين نثرا وشعرا، وقد أشرنا سابقا إلى مبالغته في وصف هؤلاء المحدثين بقوله: "قهروا السابقين وبهروا اللاحقين." (57)

ومن ثمة فنحن لا نشعر بوجود فجوة حقيقية بين العنوان وطبيعة الفلسفة الانتقائية للمؤلف ؛ لأن اختيار موضوع دون آخر ، والاستشهاد بأبيات دون أخرى ، والميل إلى نوع أدبي دون غيره، يعتبر نظرة نقدية بالأساس، فصناعة الاختيار صناعة العقل حسب ما قاله أحد الحكماء اليونانيين. (58)

خاتمة :

نخلص في الأخير إلى القول إن العنوان المدروس موضوع بعناية واضحة؛ لاسيما إنه يشكل نقطة وصل قرائية وثقى بينه وبين متن المدونة، كما أنه شكل جسرا مهما للكشف عن سمات البيئة الثقافية التي صيغ فيها؛ ويتجلى ذلك في توظيف عناصر البديع الذي شاع في عصر المؤلف، وكان سمة المؤلفين آنذاك. كما كان العنوان مرآة عاكسة لذوق المؤلف ونبضه الشعري، ففي العبارة العنوانية انزياح شعري أنيق، وانسجام مفرداتي بديع، مما يقودنا للقول إن عنوان النورين جامع لأقطاب العملية الإبداعية الثلاثة : المؤلف والنص والمتلقي.

الهوامش :

- 01- تحليل الخطاب السردي، معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق، عبد المالك مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون الجزائر، ط1 1995 م، ص: 277
- 02- قراءة في كتاب سيمياء العنوان للدكتور بسام قطوس، الطيب بودريالة، محاضرات الملتقى الوطني الثاني السيمياء والنص الأدبي، قسم الأدب العربي جامعة بسكرة، منشورات الجامعة في: 16/15 أفريل، 2002م، ص: 29
- 03- علم العنونة، عبد القادر رحيم، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق سوريا، ط1، 2010 م، ص: 7.
- 04- العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي، الهيئة المصرية للكتاب، مصر ط1، 1998 م، ص: 51.
- 05- دينامية النص تنظير وأنجاز، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي بيروت لبنان، ط2، 1990م، ص: 72.
- 06- السيميوطيقا والعنونة، جميل حمداوي، مجلة عالم الفكر، وزارة الثقافة الكويت، ع3، مج25، 1997م، ص: 101.
- 07- نور الطرف ونور الظرف (المعروف بالنورين)، الحصري القيرواني، تحقيق ودراسة لينة عبد القدوس، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط1، 1996م، ص: 102.
- 08- العنوان في الأدب العربي النشأة والتطور، محمد عويس، مكتبة الانجلو المصرية القاهرة مصر، ط1، 1984م، ص: 84.
- 09- الخطيئة والتكفير، عبد الله محمد الغدامي، النادي الأدبي الثقافي، جدة المملكة العربية السعودية ط1، 1985م، ص: 261.
- 10- علم العنونة، عبد القادر رحيم، ص: 70.
- 11- العنوان في الأدب العربي النشأة والتطور، محمد عويس، ص: 49.
- 12 المرجع نفسه، ص: 51.
- 13- علم العنونة، عبد القادر رحيم، ص: 72.
- 14- الخطيئة والتكفير، عبد الله محمد الغدامي، ص: 261.
- 15- علم العنونة، عبد القادر رحيم، ص: 77.
- 16- يُنظَر: العنوان في الأدب العربي، محمد عويس، ص: 57.

- 17- تشكيل المكان وظلال العتبات، معجب العدواني، النادي الأدبي الثقافي، جدة المملكة العربية السعودية، ط 1، 2002م، ص: 09.
- 18- يُنظر: علم العنونة، عبد القادر رحيم، ص: 78.
- 19- يُنظر: تحقيق نصوص التراث في القدم والحديث، الصادق عبد الرحمان الغرياني، منشورات الفاتح للجامعات، 1989م، ص: 88.
- 20- النورين، الحصري القيرواني، ص: 100.
- 21- أتمودج الزمان في شعراء القيروان، ابن رشيق القيرواني، جمع وتحقيق محمد العروسي المطوي، بشير البكوش، الدار التونسية للنشر، تونس، 1986م، ص: 46.
- 22- الشعرية العربية، جمال الدين بن الشيخ، ترجمة مبارك حنون ومحمد الوالي ومحمد أوراغ، دار طوبقال، الدار البيضاء المغرب، ودار غاليمار باريس فرنسا، ط 1، 1996م، ص: 285.
- 23- محاورات مع النثر العربي، مصطفى ناصف، 1997م، ص: 111.
- 24- المعرفة التاريخية للنقد العربي القديم، مجدي أحمد توفيق، دار الوفاء الإسكندرية، ط 1، 2001م، ص: 187.
- 25- لسان العرب ابن منظور، تح: عامر أحمد جهور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2003م، مادة "نور" 4572/6
- 26- المرجع نفسه، مادة "ظرف"، 4590/6
- 27- الظرف: البراعة وذكاء القلب .. وقيل الحذق بالشيء لسان العرب مادة "ظرف" 2747 /4
- 28- لسان العرب مادة "ظرف" 2747/ 4
- 29- النورين، الحصري القيرواني، ص: 101.
- 30- المرجع نفسه، ص: 103.
- 31- يُنظر: المرجع نفسه، ص: 102، 103.
- 32- الأسلوبية وتحليل الخطاب دراسة في النقد العربي الحديث (الأسلوبية والأسلوب) ، نور الدين السد، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر ط 1، 179/ 1
- 33- استراتيجيات القراءة والتأصيل والإجراء النقدي، بسام قطوس مؤسسة حمادة ودار الكندي للنشر والتوزيع اريد الأردن، ط 1، 1998م، ص: 138.
- 34- يُنظر: علم العنونة، عبد القادر رحيم، ص: 88، 87.
- 35- أتمودج الزمان، ابن رشيق القيرواني، ص: 46.
- 36- لأننا نتعامل مع الكلمة "الطرف" في سياقها الذي ورد في عنوان الكتاب، والمقصود بها في عموم اللفظ الشيء الطريف الغريب العجيب النادر .

- 37- لسان العرب، ابن منظور، مادة "طرف"، 4/ 2658.
- 38- المرجع نفسه، مادة "طرف"، 4 / 2658 .
- 39- النورين، الحصري القيرواني، ص: 103 .
- 40- لسان العرب، ابن منظور، 4 / 2658.
- 41- النورين، الحصري القيرواني، ص: 103.
- 42- لسان العرب، ابن منظور، 4 / 2658.
- 43- لسان العرب مادة "طرف"، 4 / 2658.
- 44- النورين، الحصري القيرواني، ص: 106.
- 45- مناهج النقد المعاصر، صلاح فضل، إفريقيا الشرق الدار البيضاء المغرب، ط1، 2002م، ص: 120، 121.
- 46- المرجع نفسه، ص: 118.
- 47- علم العنونة، عبد القادر رحيم، ص: 88.
- 48- النورين، الحصري القيرواني، ص: 103.
- 49- المرجع نفسه، ص: 102.
- 50- علم العنونة، عبد القادر رحيم، ص: 40.
- 51- التناص في شعر الرواد، أحمد ناهم، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد، ط1، 2004 م، ص: 77.
- 52- شعرية عنوان الساق على الساق فيما هو الفارياق، محمد الهادي المطوي، مجلة عالم الفكر، مج 28 العدد الأول، سبتمبر 1999، ص: 457
- 53- قراءة في الشعر العربي الحديث، بشرى البستاني، دار الكتاب العربي بيروت لبنان، ط1، 2002 م، ص: 34.
- 54- علم العنونة، عبد القادر رحيم، ص: 90.
- 55- العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي، محمد فكري الجزائر، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، ط1، 1998م، ص: 68.
- 56- يُنظر: النورين، الحصري القيرواني، ص: 59
- 57- أساس البلاغة، أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن احمد الزمخشري، تح : محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط1، 1998م، ص: 103.
- 58- المرجع نفسه، ص: 105 .

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش

أ- المصادر:

- نور الطرف ونور الظرف (بالنورين)، الحصري القيرواني، تحقيق ودراسة لينة عبد القدوس، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان ، ط1 ، 1996م.

ب- المراجع:

- أمودج الزمان في شعراء القيروان، ابن رشيقي القيرواني، جمع وتحقيق محمد العروسي المطوي، بشير البكوش، الدار التونسية للنشر، تونس، 1986م.
- أساس البلاغة، أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن احمد الزمخشري، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط1 ، 1998م.
- استراتيجيات القراءة والتأصيل والإجراء النقدي، بسام قطوس مؤسسة حمادة ودار الكندي للنشر والتوزيع ، اربد الأردن، ط1 ، 1998م.
- الأسلوبية وتحليل الخطاب دراسة في النقد العربي الحديث (الأسلوبية والأسلوب) ، نور الدين السد، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1 ، 1997م.
- تحقيق نصوص التراث في التقديم والحديث، الصادق عبد الرحمان الغرياني، منشورات الفاتح للجامعات، 1989م.
- تحليل الخطاب السردية، معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق، عبد المالك مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون الجزائر، ط1، 1995م.
- تشكيل المكان وظلال العتبات، معجب العدواني، النادي الأدبي الثقافي، جدة المملكة العربية السعودية، ط1، 2002م.
- التناص في شعر الرواد، أحمد ناهم، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد، ط1، 2004م.
- الخطيئة والتكفير، عبد الله محمد الغدامي، النادي الأدبي الثقافي، جدة المملكة العربية السعودية، ط1، 1985م.
- دينامية النص تنظير وأبحاث، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي بيروت لبنان، ط2، 1990م.
- السيميائية والنص الأدبي، قسم الأدب العربي جامعة بسكرة، منشورات الجامعة في 15/16 أفريل، 2002م.
- السيميوطيقا والعنونة، جميل حمداوي، مجلة عالم الفكر، وزارة الثقافة الكويت، ع3، مج25، 1997م.
- الشعرية العربية، جمال الدين ين الشيخ، ترجمة مبارك حنون ومحمد الوالي ومحمد أوراغ، دار طوبقال، الدار البيضاء المغرب، ودار غاليمار باريس فرنسا، ط1، 1996م.
- علم العنونة، عبد القادر رحيم، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق سوريا، ط1، 2010م.
- العنوان في الأدب العربي النشأة والتطور، محمد عويس، مكتبة الانجلو المصرية القاهرة مصر، ط1، 1984م.
- العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي، محمد فكري الجزار، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، ط1، 1998م.
- قراءة في الشعر العربي الحديث، بشرى البستاني، دار الكتاب العربي بيروت لبنان ، ط1، 2002م.
- قراءة في كتاب سيميائية العنوان للدكتور بسام قطوس، الطيب بودريالة، محاضرات الملتقى الوطني الثاني
- لسان العرب ابن منظور، تح: عامر أحمد جهور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003م.

- محاورات مع النثر العربي، محمد ناصف، سلسلة عالم المعرفة، الكويت العدد 218، فبراير 1997م.
- المعرفة التاريخية للنقد العربي القديم، مجدي أحمد توفيق، دار الوفاء الإسكندرية، ط1، 2001م.
- النقد المعاصر، صلاح فضل، إفريقيا الشرق الدار البيضاء المغرب، ط1، 2002م.